شهداء ولكن ....؟!

عهد النبوة والصحابة (١)

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٠٧٧/ ٣/ ٢٠١٦)

٢٣٩
البيطار، وائل فهمي
شهداء ولكن..؟ عهد النبوة والصحابة(١)/ وائل فهمي البيطار، رعد محمود العمري ،
عمان: المؤلفان
()ص
ر.إ: ١٠٧٧/ ٣/ ٢٠١٦
الواصفات: الصحابة والتابعون/ الشهداء //الجهاد
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية اخرى

يطلب من المؤلفين
ومن مركز الهلال دخلة بنك الإسكان ومكتبة جنى نفق الاقتصاد

وائل البيطار
بريد الكتروني wfbitar@just.edu.jo
Facebook :www.facebook.com/waelalbitar756
رقم الهاتف المحمول:٩٦٢٧٩٥١٣٢٦٣٣+

رعد العمري
بريد الكترونيraadomari333@hotmail.com
Facebookwww.facebook.com/raadomari33
رقم الهاتف المحمول:٩٦٢٧٨٥٩٣٢٥٧٧+

تصميم الغلاف: زهير عبدالكريم العمري
المهدي الجراح

شهداء ولكن...؟!

عهد النبوة والصحابة (١)

تأليف

وائل فهمي البيطار

رعد محمود العمري

الطبعة الأولى

٢٠١٦

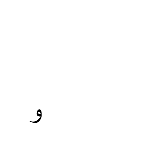


الإهداء

إلى كل أولئك العظماء الذين طالت قاماتهم السماء...

إلى الذين أشعرونا بضآلتنا وصغرنا بعظمتهم...

نعتذر منكم لأننا لسنا بمستوى غبار أحذيتكم...



فهرس الكتاب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

نحن لسنا مؤرخين، ولكن الفكرة استحوذت علينا لفترة طويلة حتى أصبحت هاجساً لا نستطيع الفكاك منه، وكل ما كان يشغل بالنا هو الأدب والفلسفة وعلم النفس والسياسة والفكر الإسلامي. لم يكن التاريخ يوماً من ضمن أولوياتنا في القراءة والبحث حتى قدَّر الله لنا أن يقع بين أيدينا كتب الدكتور محمد علي الصلاّبي ومن تلك اللحظة أصبح للتاريخ طعماً آخر.

أدهشتنا روعة السرد، وأكاديمية البحث، وتوخي دقة المعلومة، ومنها أصبح للتاريخ لوناً آخر، لوناً أحببنا أن ندمج فيه الفلسفة وعلم النفس بقالب أدبي مع منهجية البحث الأكاديمي دون الخوض في الأمور الفقهية مع توثيق المعلومة التاريخية من المراجع الموثوقة، آملين من الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتنا وحسنات من رجعنا إليهم من المؤرخين والكتّاب، والله من وراء القصد.

كثيرة هي الكتب التي تتحدث عن الشهادة والاستشهاد، فما الذي يميز هذا الكتاب؟ ينطلق الكتاب من فكرة بسيطة ولكنها

غريبة، كونها لم تطرق من قبل - حسب ما نعلم -على النحو الذي نتوي طرحه. لا ننوي التحدث عن معنى الشـهادة، أو قيمتهـا، أو مفهومها في الفقه الإسلامي، ولا عن الشهداء الأبرار الذين قـدموا أرواحهم رخيصة في سبيل رفعة هذا الدين.

سوف نتحدث بأسلوب أدبي، غير الأسلوب المتبع في سرد التاريخ، عن أولئك العمالقة الذين ارتقوا بعظمتهم، على اختلاف نوعية العظمة، حتى وصلوا إلى مراتب أتعبت وأزعجت عامة الناس حتى ضاقوا بهم ذرعاً. وكلما زادت هذه العظمة، زاد الإصرار على قتلهم غيلةً وغدراً. فهم لم يموتوا في ساحة الجهاد، وإن عاشوا مجاهدين طوال حياتهم. لقد تم تصفيتهم من قبل العامة لأن الطبيعة البشرية ترفض من خرج عن القطيع البشري وتميز عنهم، بغض النظر عن طبيعة التميز. واللافت في الأمر أنه كلما زادت العظمة وزاد التميز، زادت وضاعة القاتل وأرسل العامة أراذلهم ليقوموا بهذه المهمة. وكأنها حرب بين رجال صاروا أشبه بالملائكة وبين بشر هبطوا فصاروا أشبه بالشياطين.

إنها الحرب الأزلية بين الحق والباطل، بين النور والظلام، ولكن الفارق هنا أن الباطل لم يعد يحتمل وجود هذا التفرد، وهذا

التميز، وهذه العظمة، فأرسل أوضع من عنده ليتخلص ممن يشعره بأنه لا شيء أمام هذا النور الذي أعمى بصره وبصيرته.

هذا الكتاب سوف يحاول استعراض كوكبة من شهداء الحق في عهد النبوة والصحابة الذين قُتلوا غدراً على يد أراذل الناس في زمنهم، وربما استكشاف الأسباب التي أدت إلى مقتل معظم العظماء في تاريخنا الإسلامي بطريقة مفجعة. أهو كرهنا للعظمة والتميز؟ أم رغبتنا في أن نحل محلهم؟ أم عدم قدرتنا على أن نكون مثلهم أو لأنهم ليسوا مثلنا؟!

لا نزعم أن باستطاعتنا الإجابة عن كل هذه التساؤلات، فالأسباب هي خليط من الحقد والحسد والسياسة والاختلاف المذهبي والنفسي والتاريخي والاجتماعي. وكأن التميّز والتفرد لا يناسب القطيع البشري، لذا يجب القضاء عليه أينما وجد. والأسباب تختلف من حالة إلى أخرى، فلكل حالة خصوصيتها.

لم يقتل عظيماً إلا من هو أدنى منه بكثير، وغالباً ما كان على النقيض تماماً، فكم من عالم قتله جاهل؟ وكم من فارس قتله جبان؟ وكم من مؤمن قتله كافر؟ فهل هناك علاقة بين العظمة والموت؟!

راجين من الله عز وجل أن يجنبنا الوقوع في مزالق الخطأ والضلال، وما كان صواباً فهو من توفيق الله، وما كان خطأً فمن أنفسنا ومن الشيطان، ونسأل الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتنا وحسنات من يقرأه، والله من وراء القصد.

***

الفقيران إلى عفو ربهما

وائـل فهمي البيطار

رعد محمود العمري

بين يدي الكتاب

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

يقول أهل الظلام :(تؤلمنا عظمتكم! يؤلمنا تميزكم! لماذا تفردتم عن باقي البشر بصفات خلّدتكم؟! لن نسمح لكم بالبقاء، عظمتكم تشعرنا بضعفنا، بتقزّمنا، بأننا لسنا إلا قطيعاً بشرياً وبأنكم رعاة لنا. هاماتكم وصلت عنان السماء ونحن نتمرّغ بطين الأرض. كلما اقتربتم من مراتب الملائكة، هبطنا إلى مراتب الشياطين، بل وصلنا إلى أبعد من ذلك).

فرّد أهل النور: (نحن بشر مثلكم، ولكننا ارتقينا إلى مراتب السماء بالإسلام، بأخلاقه وروحانيّته والعمل من أجله. سمونا بالإسلام وارتقينا، أما أنتم فثقل عليكم الأمر، ركنتم إلى الحياة ودِعَتها وغاظكم جهادنا وعلمنا وأخلاقنا حتى شعرتم بمدى ضآلتكم أمام عظمتنا. نحن اخترنا الطريق وعملنا من أجلها. أما أنتم فجلستم متفرجين، يحرقكم غيظكم وغيرتكم حتى صرتم شياطين الإنس. أما نحن ففرسان في النهار وعبّاد في الليل.)

أهل الظلام: (لن نسمح لكم بالبقاء هكذا. إما أن تكونوا مثلنا، أو نختار لكم ميتة تناسب عظمتكم، ففي كل يوم تزدادون فيه تفرداً وعظمة، نزداد صغراً أمامكم، لذا يجب أن تموتوا فعيشكم يؤذينا).

أهل النور: (لقد عرفنا الطريق والتزمنا به، ونعرف أنه مزروع بالشوك والمخاطر، ونعرف أن الجنة هي نهاية المطاف، فافعلوا ما شئتم، فإنما هي إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة. أما أنتم فتمرغوا بطين الشّهوات فهذا ما يناسب القاعدين والخانعين.)

هذا ما نكاد نسمعه من كل شخص أو مجموعة من العامة ساءها رؤية عالم أو عابد أو قائد أو أي متفرد في مجال ما، لأن العظمة تؤذيهم، تشعرهم بصغرهم، فيسارعون إلى التخلص منها بشتّى الوسائل. ونكاد نسمع رد أولئك العظماء الذين كانت قلوبهم معلقة بالسماء. ولم يكترثوا بحشرات الأرض على الرغم من محاولاتهم المستميتة في انتشالهم من قاع الأرض والارتقاء بهم إلى عنان السّماء.

***

كيف بدأت الحكاية؟

أولاً: آدم وعزازيل:

خلق الله آدم بيده وكان هذا أول تشريف من الله لآدم، وكان آدم قبل نفخ الروح فيه طيناً يابساً كالفخار له صوت صلصلة، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١٤]، فمرت به الملائكة وكان من بينهم مخلوق ذو شأن في الملكوت الأعلى يدعى عزازيل[1] وعندما رأوا آدم فزعوا منه وكان أشدهم فزعاً. وكان عزازيل يمر بجسد آدم فيضربه فيصدر الجسد صوتاً كصوت الفخار يسمى بالصلصة ويقول: "لأمر ما خلقت"، وكان يدخل من فيه ويخرج من دبره ليستكشفه بيولوجياً من الداخل، فقد كان عزازيل عالماً بخلق الله سبحانه وتعالى، وعندما وجده أجوف من الداخل عرف بناءً على علمه السابق أن هذا المخلوق لا يتمالك[2] - أي أنه ضعيف غير منضبط لا يستطيع

---

(1) أخرج الإمام البيهقي في "شعب الإيمان" بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان اسم إبليس عزازيل، وكان من أشراف الملائكة من ذوي الأربعة الأجنحة، ثم أبلس بعد". وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح": (نعم روى الطبري وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: "كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل، ثم إبليس بعد".) وقال الحافظ أيضا: (ومن أسمائه الحارث والحكم، وكنيته أبو مرة.)

(2) من حديث أنس بن مالك في صحيح مسلم (٢٦١١)

السيطرة على نفسه ورغباته وميوله - فقال للملائكة بكل ثقة وغرور وكبر على آدم: **"لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه**[1]**"**، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ في آدم من روحه، قال للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فصدم عزازيل لأنه لم يكن يتوقع أن ينفخ الله في آدم من روحه فكان هذا ثاني تشريف من الله لآدم، ثم يشرّف الله آدم مرة ثالثة بأن يأمر الملائكة بالسجود له، عدا عن تعليمه الأسماء كلها ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ [البقرة: ٣١]، فغاظ عزازيل من ذلك في نفسه فحسد آدم وتكبر عليه، وكأني أسمعه يحدث نفسه، فيقول: "أربعة تشريفات لهذا الشيء الذي خلق من طين حقير وضيع! وأنا.. أنا الحارث والحكم ذو الأربعة أجنحة الذي خلقت من النار أأسجد لهذا الحمأ المسنون؟! كلا لن أفعل حتى لو كانت هذه نهايتي".

وهذا ما أدى بعزازيل لعصيان أمر ربه بأن أبى السجود لآدم، فقال الله تعالى له: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ١٠٩)

﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾[ص: ٧٥] فهنا يقيم الله الحجة على عزازيل بسؤاله إياه - والله أعلم بما في نفسه - هل كان المانع من السجود داخليا أم خارجيا؟ وكانت إجابة عزازيل في كلا الموضعين: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾ [ص: ٧٦]وهذا اعتراف منه على أن عدم سجوده كان لسبب داخلي ولم يجبره أحد على ذلك، فقوله تعالى: ﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ ﴾ أي من داخل نفسك، وقوله: ﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ أمر خارجي يعني أمام أحد، فلما أقام الله الحجة على عزازيل، أبلس[1] الذي كان من أشرف الملائكة وأكثرهم علماً وعبادة، ومسخ إلى شيطان ملعون إبليس، فسمي بعد ذلك إبليس. وبعد هذا السخط والطرد من رحمة الله حقد إبليس على آدم وأقسم أمام الله تعالى قائلا: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ ﴾ [ص: ٨٢]،وهذا يدل على اتخاذه لآدم عدواً لدوداً أزلياً، وتوعد له ولذريته أن يغوينهم جميعاً

---

(1) أبلس: يئس وتحيّد وسكت لانقطاع حجته، قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ ﴾ [الروم: ١٢] .

ويدخلهم جهنم معه، لأنه لا يريد أن يدخلها وحده ويخلد فيها وحيداً في القاع، بل يريد أن يسقط آدم لأسفل سافلين معه وينزع عنه عظمته وتشريفاته، ولكنه كما ذكرنا سابقاً كان عالماً بالخلق والحياة فاستثنى من قسمه خلقاً عرف أن لن يقدر عليهم فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٣] لأنه كان يعلم أن المخلَصين أخلصهم الله لعبادته وعصمهم من الشيطان الرجيم فلا سبيل له عليهم لأن سلاحه الوحيد هي الدنيا وشهواتها، والمخلَصين يرون أن الدنيا وما فيها لا يساوي جناح بعوضة فاستسلم لهم وألقى سلاحه أمامهم.

ثانياً: أول صفقة في الكون:

عندما خلق الله تعالى الخلق كله عرض الأمانة - أي بمعنى الاختبار – على السماوات السبع الطباق، والأرضين السبع الشدائد والجبال الشم الشوامخ، فقال لهم: "هل تحملون الأمانة وما فيها"، قالوا: "وما فيها يا رب"، قال: "إن أحسنتم جزيتم وإن أسأتم عوقبتم"، قالوا: "لا نستطيع عليها يا رب، ليس عصيانا لأمرك ولكننا نشفق منها ونخاف من العقاب"، فقرب آدم فقال الله تعالى له: "أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟"، قال: "وما لي عندك؟"، قال: "إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة، فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت، فإني معذبك ومعاقبك ومنزلك النار"، قال: "رضيت يا رب"، وتحملها آدم، فقال الله عز وجل: "قد حمّلتكها"(١)، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

---

(١) راجع تفسير الطبري (٢٠ /٣٣٦-٣٤٠) – تفسير ابن كثير (٦ / ٤٨٨-٤٨٩) – الجامع لأحكام القرآن (١٤ /٢٥٢- ٢٥٣) – فتح القدير (4/437)

ثم مسح الله ظهر آدم فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وأخذ عليهم العهد([1])، فقال لهم: "إني أنا الله ربكم، هل تعاهدوني على أن تعبدوني وحدي ولا تشركوا بي شيئا؟"، قالوا: "نعم، نعاهدك على ذلك يا رب" وألزموا أنفسهم بذلك فحملوا الأمانة مثل أبيهم، فقال الله عز وجل: "إني ألزمتكموها، وإني أعلمكم أني سأبعث إليكم الرسل"، واشهد بعضهم على بعض وأشهد السماوات السبع عليهم، قال تعالى:

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢]

([1])من حديث الإمام أحمد (٢٤٥٥) والنسائي (١١١٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قال:(إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان - يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قبلا قال :أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ). وراجع تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٠) وأضواء البيان (٢/ ٤٢-٤٣).

طرفا الحرب

وبعد أن عرفنا كيف بدأ كل شيء سوف نستعرض الآن من هم طرفا الحرب وماهيّة صفاتهم:

(١)الإنسان:

إن أول طرف في هذه الحرب هو حامل الأمانة (الإنسان)، وقد ذكر الخالق عز وجل صفات هذا المخلوق في كتابه العزيز في أكثر من موضع منها:

١ـ الكفر:

قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧]

وردت صفة الكفر في القرآن في ستة مواضع وجميعها بصيغة مبالغة مثل (كفور وكفّار)، وهذا يدل على أن الكفر متأصل في الإنسان. إن الإنسان حينما يكفر ويعرض عن ربه يخسر السعادة في الدنيا والآخرة فيصبح شقياً هالكاً ملعوناً، ولاحظ في الآية السابقة أسلوب التعجب ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ فما أشد كفر الإنسان مع أن أصله من نطفة ولم يكن شيئاً مذكورا!

٢ـ النسيان:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: ١١٥]

فبعد إتمام صفقة الأمانة بين الله تعالى وآدم ؛ نسي آدم ما عاهد الله عليه فأكل من الشجرة ولم يكن له عزماً لمقاومة إبليس.

٣ـ العجلة:

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١]

فقد روي عن ابن عباس وسلمان الفارسي ، أن الله سبحانه وتعالى لمّا نفخ في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده، إلا صار لحماً ودماً، فلما انتهت النفخة إلى سرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فلمّا كان بعد العصر قال: يا رب عجّل قبل الليل. فصفة العجلة متأصلة في الإنسان.

٤ـ الضعف:

قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]

فالإنسان عاجز أمام شهواته وميوله، وهو دائم الحاجة إلى ربه بالتخفيف عنه في الأحكام الشرعية من حرام وحلال لكي يستطيع الصمود في هذه الحرب.

٥ـ الجدال:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]،فكم من قوم جادلوا أنبياءهم وردّوا عليهم ما جاءوا به من الحق، إنما بسبب ظلمهم وعنادهم، لا لتقصير من الأنبياء أو قصور في بيان الحق وحجته.

٦ـ الغرور:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]

فأي شيء غرّ الإنسان بأن يعصي ربّه، ويكفر به، وينكر بعثه، إلا جهله، فيا عجباً من طول تماديه، وغلوّه في التيه، وعدم خوفه من عاقبة معاصيه!

***

(٢)الشيطان:

أما الطرف الثاني في هذه الحرب فهو الشيطان الذي اتخذ الإنسان عدواً أزلياً، فلنستعرض بعض صفات هذا المخلوق كما ذكرها خالقه في كتابه الكريم:

١ـ الضعف:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء: ٧٦]

فإن كيد الشيطان لا يتجاوز أن يكون تشكيكاً أو وسوسة أو تخويفاً أو تغييراً لصورة الشيء كتحسين لقبيح أو تقبيحاً لحسن أو كذباً، ويطالب الله عز وجل عباده بأن يواجهوا الشيطان ويدخلوا المعركة معه ولا يخشوه لأنه ضعيف حين يواجه نور الإيمان.

٢ـ الجبن:

قال تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ﴾ [الناس: ٤]

فهو جبان، يختبئ ويختفي عن الأنظار، وينتظر الفرصة لكي يدبّ ويوسوس في الخفاء والظلام، ولكنها نقطة ضعف له في نفس الوقت لمن يستيقظ لمكره، ويدرك وجوده ويدرس ألاعيبه الخبيثة.

٣ـ الكذب:

قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠] فإن الشيطان يزين للإنسان عمله حتى يراه حسناً، ويطمئنه بالنجاة من عاقبة ما يعمل حتى يلقي به إلى التهلكة، والكذب هو أول وسيلة استخدمها إبليس لإغواء آدم وإخراجه من الجنة عندما أوهمه أن الشجرة التي منع الله آدم من الأكل منها هي شجرة الخلد والتي تعطيه إن أكلها ملكاً لا يبلى.

٤ـ الكبر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]

فسبب كبره هو رفضه وعدم قبوله الانصياع لأوامر المولى عز وجل بالسجود لآدم إعجاباً بنفسه ورؤيته أنه خير منه بسبب المقارنة الفيزيائية السخيفة الحمقاء التي قارنها بين أصل خلقه (النار) وأصل خلق آدم (الطين)، وجهل أن آدم ليس مجرد طين، بل هو نفس وروح وجسد وعقل وقلب وإرادة حرة وعلم وحامل الأمانة، فيا عجباً من حماقته!

٥ـ التمرد والعناد:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ [الأعراف: ١٦]

فبعد أن خسر كل شيء ويئس وطرد من رحمة الله بسبب كبره وكفره، تمرد وعاند ربه بكل وقاحة بأن تعهد على نفسه بإغواء آدم وذريته، فهو حاقد غارق في الشر، بل إن صح القول فهو الشر المطلق، ننساه ولا ينسانا، نغفل عنه ولا يغفل عنا، فهو عدو لدود يكرهنا كرهاً جمّاً.

***

أرض المعركة

لكل معركة مكان تقام عليه، ومكان معركة الإنسان مع الشيطان هو قلب الإنسان وعقله، لأن الشيطان عندما دخل في جوف آدم واكتشف أنه أجوف وعرف أنه لا يتمالك بسبب ميوله ورغباته، قرر أن تكون أرض المعركة في قلب آدم وعقله لكي يستطيع أن يوسوس له، كما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[1] .

والقلب كدولة نظام حكمها جمهوري، إما أن يحكمها الشيطان أو يحكمها الملك، ويتم التصويت فيها حسب اتباع الهوى والغرق في الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان هواه وشهواته ظهر تسلط الشيطان وطغى على قلبه، وإن جاهد نفسه وشهواته صار قلبه مستقراً للملائكة.

([1]) اخرجه الترمذي (٢٩٨٨) وأبو يعلى (٤٩٩٩) وابن حبان (٩٩٨).

والمعركة بين جندي الملائكة والشياطين مستمر في القلب إلى أن يسيطر أحدهما عليه، وأكثر القلوب تم السيطرة عليها من قبل جنود الشياطين، بسبب فساد هذه القلوب وملئها بالحسد والكبر والفجور، ففرت منها الملائكة لنتانة المحيط فيها، وامتلأت بالوساوس وعششت فيها الشياطين.

***

بداية الحرب

أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء أن يسكنا الجنة ويأكلا من ثمارها ويبتعدا عن شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، وكان هذا أول اختبار لآدم بعدما تمت صفقة حمل الأمانة بينه وبين الله العزيز الحكيم، واستغل هذه الفرصة إبليس اللعين الذي أخذ عهداً على نفسه وأقسم بعزة الله وجلاله أن يضل آدم وذريته عن الصراط المستقيم، وعلى الرغم من قلة وسائل الإغواء في الجنة إلا أنه جهز أول خطة خبيثة في التاريخ ليضل بها أبوينا، فذهب إليهما فقال لهما: "هل أدلكما على شجرة الخلد، إن أكلتما منها خلدتما فلم تموتا، وصرتما من الملائكة، وملكتما ملكاً لا ينقضي فيبلى؟" وحلف لهما على أنه ناصح لهما فيما ادعاه من الكذب قال الله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: ١٢٠] لم يخطر على بال أبوينا أن هناك مخلوقاً يجترئ على أن يحلف بالله كذباً فصدقاه فضلّا بكلامه فخالفا أمر ربهما فأكلا منها فسقطا في فخ إبليس الخبيث فـ ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٢]، لأن الله نزع عنهما سترهما الذي كانا يستران به سوآتهما قبل

ارتكابهما للخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ بعدما أكلا الثمرة، فأقبلا يقطفان من ورق الجنة ليسترا سوء ما رأيا حياءً من الله عز وجل، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ثم نادى الله عز وجل آدم وحواء وقال لهما: "ألم أنهاكما عن الأكل من تلك الشجرة وقلت لكما أن إبليس لكما عدو مبين لأنه قد أبان مسبقاً عدواته لآدم بأن رفض السجود له حسداً وكبراً؟. قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢]. فأجابا: "يا رب إنا ظلمنا أنفسنا بعصياننا لأمرك وإطاعة إبليس، فإنا نسألك أن تغفر لنا ما صنعنا وإلا سنهلك ونخسر ونضيع الأمانة ونحن ما زلنا بأول الاختبار، ونتوسل لك أن تغفر لنا وإلا سوف يتشفى فينا عدونا إبليس ويحقق غايته ومراده"، قال الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وهنا تابا لله تعالى فتاب الله عليهما وغفر لهما، قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ٢٢] ولكن في المقابل أوحى إليهما بأن ينتقلوا للاختبار الثاني وهو الأصعب بأن يهبطوا ثلاثتهم – آدم

وحواء وإبليس – إلى مكان الاختبار (الأرض)، ويكون بعضهم لبعض عدو – أي أن إبليس عدو لهما وهما عدوان له –وأن يستقروا في الأرض ويتمتعوا مؤقتا إلى حين أن يأتي أجل آدم وحواء، وإبليس إلى النفخة الأولى يوم القيامة. قال الله تعالى :

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٤]

ثم بدأ الاختبار وبدأت الحرب على الأرض بين الإنسان والشيطان، وكان آدم قد تعلم من خطأه في الجنة وأيقن أن الشيطان عدو له، وولد لآدم أولاد وبنات كثر فكان يؤدبهم ويربيهم ويعلمهم مما علمه الله من لدنه، ويرشدهم إلى أن الحياة على الأرض ما هي إلا امتحان للإنسان وابتلاء له، وأنهم عليهم أن يتمسكوا بهدى الله وأن يحذروا من الشيطان ومن وساوسه الخبيثة وألاعيبه اللعينة في الإغواء، وأن الشيطان عدو مبين لهم إلى يوم القيامة.

المصطفَوْن

قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾[آل عمران: ٣٣]

إن الله عز وجل اختار آدم وكرّمه واصطفاه على الخلق، واصطفى من ذريته نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، واصطفى من ذرية إبراهيم محمداً[١] ﷺ ليكون سيد ولد آدم، واصطفى له نخبة من البشر ليكونوا حوله ويؤيّدونه، وهؤلاء هم أصحابه رضوان الله عليهم، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: " **إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد، بعد قلب محمد، فوجد قلوبَ أصحابهِ خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراءَ نبيهِ، يُقاتِلون على دينه**"[٢] ، فهم أعظم البشر بعد الأنبياء والرسل، فمنهم الصديق ومنهم الشهداء، وسنستعرض في هذا الكتاب سيرة الشهداء منهم الذين قتلوا غدراً، والذين بشّرهم النبي ﷺ

([١])كما روى عن رسول الله ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، رواه مسلم(٢٢٧٦).

([٢]) رواه أحمد(٣٦٠٠) واسناده حسن.

بالشهادة وهم أحياء في حادثة ارتجاف جبلي أحـد وحـراء، ولكـن قبل أن نتكلم عنهم، سنستعرض أولاً سيرة بعض عظمـاء الغـرب الذين يفخرون بهم وكتبهم مليئة بالحديث عنهم، بل ونجـد بعـض المسلمين في زماننا يأخذونهم قدوة لهم ويحفظون أسماءهم أكثر من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم.

***

عظماء ولكن...؟!

يفخر الغرب بعظمائه، وكتبهم مليئة بالحديث عن عظمائهم، وكأن العالم كله عندهم ومنهم، فتارّة يتحدّثون عن عظمة شكسبير أو دوستويفسكي وغيرهم الكثير، وتارة يتغنون بقادتهم وفلاسفتهم، ويملؤون المكتبات بأبحاث تتحدث عن فلاسفتهم وأدبائهم وقادتهم، وكل كاتب منهم يستعرض عضلاته في كشف جوانب العبقرية عند شخص ما منهم. ولكنك لو استعرضت حياة (عظمائهم)، لوجدت أن كل واحد منهم كان يعاني إما من معضلة نفسية أو جسدية سببت له حالة من عدم الاستقرار النفسي وغالباً ما كانوا ينتهون إما بالجنون أو بالانتحار، وحياتهم مليئة بالمشاكل والعقد النفسية.

ومن الغباء أن ننكر ما وصل إليه الغرب من تقدم علمي ومادي، ولكنه في المقابل ينحدر انحداراً أخلاقياً وروحياً بمقدار تقدمه العلمي. ويجب ألا ننسى بأن تقدمه العلمي ما كان ليكون لولا حصوله على العلوم من الأندلس وبغداد وحواضر الإسلام التي كانت عامرة بالثقافة والعلم آنذاك، وبعد أن تخلينا عن العلم والدِّين أخذنا منهم انحدارنا الأخلاقي في هذه المرحلة. ورحنا نفتش في نفايات الغرب باحثين عن الحكمة والموعظة.

ولكن الدِّين الذي حول رعاة الإبل إلى عظماءٍ في الأرض والسماء قادر على أن يعيدنا من جديد لنسود العالم بالحضارة والثقافة والرقي الأخلاقي. إن الإسلام هو دين الفطرة وبدونه تبدأ الانحرافات. قال عمر: (**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله**)[1].

ونسرد لكم على سبيل المثال، لا الحصر، لأن الأمثلة عن شذوذ عباقرة الغرب وعظمائهم أكثر من أن تعد أو تحصى:

- ديوجينيس: فيلسوف يوناني مشهور، كان يعيش في برميل ويسير في الشارع حاملاً مصباحاً في النهار، وعندما كان يسأل عن ذلك كان يقول بأنه يبحث عن إنسان.
- سقراط: فيلسوف يوناني، كان يعتقد بأنه مصحوب بشيطان ولقي حتفه بسبب مخالفته لقوانين الآلهة.
- باسكال: كاتب وفيلسوف فرنسي، كان يعتقد بأن تحت قدميه هاوية.

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥٥).

- أوجست كونت: فيلسوف فرنسي، بقي مجنوناً عدة سنوات وعندما شفي طلّق زوجته وتنبّأ بأن المرأة سوف تحمل في المستقبل دون علاقة جنسية، ثم اعتقد أنه نبي ورسول.
- نيتشه: فيلسوف ألماني شهير، جاء بفكرة السوبرمان وضرورة إبادة كبار السن والعجزة والأعراق الأخرى، ثم تبنى هذه الفكرة هتلر وطبّقها. عاش نيتشه لسنوات عدة في مصحة نفسية وكان يعاني من أمراض جنسية عديدة.
- تولستوي: كاتب روسي مشهور، كان يقضي ساعات طويله ليبحث عن جملة قصيرة أو فكرة بسيطة، ثم يقضي بقية النهار مصابا بصداع أليم.
- نابليون: كان يصاب بالحمّى أثناء وضعه خطة معركة جديدة.
- روسو: فيلسوف وكاتب فرنسي، كان يخرج بعد الكتابة مشلول الأعصاب، مشلول القوى.
- بلزاك: روائي فرنسي، كان يحبس نفسه في حجرته، ويرتدي مسوح راهب ويتمنطق بزنّار، ويظل حبيساً لأشهر، لا يبصر الخارج ولا يقرب أية متعة حتى ينتهي من الكتابة.
- دوستويفسكي: أعظم روائي روسي، إن لم يكن، حسب ما يقول النقاد، أعظم روائي في العالم. كان مصاباً بالصرع وسكيراً مقامراً ومازوخياً.

- همنغواي: روائي أمريكي، كان يعشق الدم ويمارس أشرس أنواع الهوايات وأخطرها، مات منتحراً.
- وليام بليك: شاعر إنجليزي، كان يجلس عارياً في حديقة المنزل هو وزوجته ليشعرا بشعور آدم عندما هبط من الجنة.

ولا نبالغ إذا قلنا أنّ القائمة تحتاج إلى كتب، فهذه عظمة الغرب الفكرية والثقافية، مبنية على الخواء وغالباً ما ينتهون إما بالجنون أو الانتحار. فأنّى لهم أن يأتوا بمثل نماذج الصحابة رضوان الله عليهم الذين ارتقوا إلى مراتب العظمة بسبب التوازن بين الجسد والنفس والروح الذي أوجده الإسلام.

عظماء الأمة الإسلامية ربّاهم الدِّين الحنيف، وصقلهم وجعلهم نبراساً للبشريّة كلّها،لأنّهم أخذوا من نور الإسلام فأصبغ عليهم من نوره، ونحن بدورنا نقدم لكم نماذج عبقريات هزت التاريخ بعظمتها. ولكننا اليوم وللأسف نبحث عن ذواتنا في قمامة الغرب، بدل أن نبحث عنها في تاريخ الصحابة الكرام الذين مهّدوا بأرواحهم وأجسادهم للإسلام ليصل إلينا بكل سهولة ونحن لا نعبأ بأن ننهلّ من نبع صنعه رسولنا الكريم ﷺ.

أثبت أحد! ... أثبت حراء!

كان أصحاب النبي ﷺ من شدة حبهم للنبي يرافقونه دائما ولا يفارقونـه، فهـم لا يشـبعهم منـه غـير الخلـود معـه في الجنـة، ولصدقهم في حبهم له أحبتهم الجمادات، فـترى الـنبي ﷺ يقـول عن جبل أحد: "**هذا جبل يحبنا ونحبه**"[1] ومن شدة حب أحد للـنبي ﷺ وأصحابه رجف بهم عندما وقفوا عليـه، فـانظر كيـف هـدأه الحبيب ﷺ عندما قال له: "**أثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**"[2]، فأما الصديق فهو أبو بكـر، وأمـا الشـهيدان فهمـا عمر وعثمان رضي الله عنهما. جبال اهتز بهم جبل مـن الجنـة، عـرف أنمـا عليه أهل وطنه الأصلي (الجنة) فثبت، ماذا قدموا لينالوا مـا نـالوا من الشرف والألقاب؟ وكيف تحققت نبوءة نبيهم؟ الصـديق قـدّم صدقة وأخلصه الله لعبادته فباع الدنيا واشترى الآخرة، والفـاروق

---

(1) رواه البخاري(٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥).

(2) رواه البخاري (٣٦٧٥).

قدّم عدله وقتل شهيداً وهو يصلي، وذو النورين قـدّم مالـه وقتـل والقرآن بيده.

وروي أيضاً، عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمـان وعلـي وطلحـة والزبير، فتحركت الصـخرة، فقـال رسـول الله ﷺ : " **اهـدأ فمـا عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** "[1]. ويكتمـل في هـذا الحـديث باقي الصحابة الذين بشرهم الـنبي ﷺ بالشـهادة وهـم أحيـاء في حادثتي ارتجاف جبلي أحـد وحـراء، فـأن عمـر وعثمـان وعليـاً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلماً شهداء.

وسنذكر في هذا الكتاب سيرة كل منهم بالإضافة لسيرة حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم، فهم أيضا قتلوا ظلماً شهداء.

أجابوا النداء، ورفعوا اللواء، وعرفوا أن الدنيا ما هي إلا ميناء يتزود منه المسافرون إلى الجنة أو إلى النار، اشتروا الجنة ودفعوا

---

(1) رواه مسلم (٢٤١٧).

ثمنها غاليا، ولم يعرفوا طعم الكسل، وجدّوا في غيظ عدوهم الذي أخرج أبويهم من الجنة، فبعث جنده فقتلوا جبالنا غدراً، صدقوا الله فصدقهم فأنالهم الشهادة، ودعاهم الى موائد كرمه وجزاهم بما صبروا الخلود برفقة صاحبهم في جنة الخلد وهتفت الحور شوقاً لهم في الفردوس.



شهداء ولكن...؟!

(١)**عمر بن الخطاب** رضي الله عنه :

من أنت يا عمر؟! كيف حولك هذا الدِّين من رعي الإبل إلى واحد من أعظم عظماء البشرية؟! كيف حولك هذا الدِّين من إنسان جلف سريع الغضب إلى واحد من أزهد وأرق الناس على الامّة؟!

أي عظمة هذه؟!

لقد بلغت مصافي العظمة بإيمانك، وعلمك، وفكرك، وبيانك، وخلقك، وشجاعتك، وقيادتك للجيوش، وفراستك، وكراماتك، لقد جمعت العظمة من جميع جوانبها. نحن نعرف أن العظماء يتفردون في مجال ما، أما أنت فلم تبقي مجالاً إلا ووصلت إلى قمته، فأنت الزاهد العابد الورع التقي، والعالم القائد، والقاضي العادل والإنسان الرحيم بشعبه والحازم والحاني والسياسي الفذ والإداري البارع ورجل الاقتصاد ونبع للعلم لا ينضب والحكيم المتواضع. لقد أرهقتنا من بعدك يا عمر، فكيف لشخص أن يكون عظيماً في جميع المجالات؟!

منذ أن دخلت الإسلام والناس يتحدثون عنك وعن عظمتك إلى يومنا هذا، وآلاف الكتب والخطب تتحدث عن عظمتك ومناقبك، ولو أنّا وَعَيْنا جانباً واحداً من عظمتك وطبّقناه لسُدنا العالم. إنّ يوماً واحداً من حياتك يحتاج أن يدرس ويفهم ويطبق لكي نقتبس شيئاً من عظمتك وعبقريّتك.

لقد وصلت إلى درجة من العظمة حتى أن بعض آيات القرآن نزلت موافقة لرأيك (عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت :يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: **(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية)** [١]

لقد بلغت من العظمة حداً حتى صرت من أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين: **(لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)** [٢]وأي عظمة أعظم من أن تسلك فجاً والشيطان يسلك

---

(١)رواه البخاري (٤٠٢).

(٢)رواه أحمد (١٧٣٣٦)، والترمذي (٣٦٨٦)،وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨٤).

فجاً آخر خوفاً منك؟! (قال رسول الله ﷺ لعمر: **(إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)**[1]

لقد ترفعت عن أوحال الدنيا وسموت بروحك إلى أعالي السماء حتى قال عنك رسول الله ﷺ: **(لقد كان في من قبلكم من الأمم ناسٌ محدّثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر)** [2]

لقد أعلنت إسلامك والناس يخفونه، وهاجرت جهراً والناس سراً. لقد زلزلت عرشي كسرى وقيصر، وأخرجت اليهود من جزيرة العرب، وبين يديك خزائنهم، ومع ذلك كنت تسهر لينام الناس، وتجوع ليشبع الناس.

لقد كان إسلامك فتحاً، وهجرتك نصراً، وولايتك عدلاً، وموتك فتحا لباب الفتنة لأنك كنت السد المنيع بين الإسلام والفتنة. قال عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه :(**إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما**

([1]) رواه البخاري (٣٦٨٣)،ومسلم (٢٣٩٦).

([2]) رواه البخاري(٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨).

نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قرشياً حتى صلى عند الكعبة وصلّينا معه) [1]

لقد عرفت أنك شهيدا وبشّرك الرسول ﷺ بذلك ومع ذلك لم تتوقف عن السمو والعطاء والجهاد حتى وأنت تُذبح كنت حريصاً على الصلاة فقدّمت عبد الرحمن بن عوف ليُتّم الصلاة. وأنت في سكرات الموت علّمت الشابّ الذي دخل عليك بأن يقصّر ثوبه.

يقول عنك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :**(لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم)**[2]

ويقول عنك رسول الله ﷺ:**(إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه)** [3]

من في تاريخ البشرية، بعد الأنبياء والرسل وأبي بكر، وصل إلى ما وصلت إليه؟! لقد وصلت بعظمتك عنان السماء،

---

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٧٠)، والهيثمي في المجمع (٩/ ٦٢)

(2) سير الخلفاء الذهبي (٨١)

(3)رواه الترمذي(٣٦٨٢) ، وأحمد(٥٣/ ٢)(٥١٤٥)

وأنت على الأرض تطبخ للفقراء، وقهرت جيوشك الفرس والروم، وفتحت بيت المقدس، وتبكي خوفاً على أمّة الإسلام، وملكت خزائن الأرض وثوبك مرقّع من الورع، ومعدتك خاوية خوفاً من أن تأكل وهناك جائع. لقد عدلت حتى أمنت فنمت في العراء، وفي الليل إمّا تتفقد الفقراء أو تبكي من خشية الله وأنت المبّشر بالشهادة.

وبعد كل ما وصلت إليه من عظمة في التواضع والعلم والعدل والفتوحات، وبعد أن زلزلت عروش الكفر في كل مكان، ولم يبق لك مكان في العظمة إلا ارتقيتها، جاءت ساعة الحساب بينك وبين أهل الظلام.

وكأني أسمعهم يقولون لك من غيظهم منك:

(كفاك يا عمر! لقد أرهقتنا وأتعبتنا، لم تدع لنا مجالاً ندخل فيه إليك، لا المال أغراك، ولا الحكم أعماك، ولا العمل أتعبك، ما نراك إلا تزداد كل يوم سمواً وعلواً، حتى سادتنا من شياطين الإنس والجن يفرون منك. لقد مرّغت أنوفنا في التّراب وأنت تصعد إلى السّحاب. زلزلت عروشنا وقهرت جيوشنا. لقد جعلتنا كالجرذان الخائفة نهرب منك في كل مكان ونحن نسري في دماء الناس سريان الدم.

لقد قهرتنا وأذللتنا وأتعبتنا معك. قهرتنا بعدلك، وأذللتنا بجندك، وأتعبتنا بورعك وعبادتك. لقد مزقت شملنا وحرمتنا من نشوة التفرقة بينكم.

ولكننا سئمنا كل هذا السمو والعلو والعظمة، ولن ننسى ثأرنا، ولقد علمنا أنك السدّ المنيع ضد الفتنة ونحن لها. إذا كنت قد بلغت عنان السماء بعظمتك ورفعتك وسموّك، فلنرسلنّ لك أوضع خلقنا لكي يثأر لنا. سنبعث لعظمتكم غلاماً مجوسياً منبوذاً ليثأر للنار التي أطفأتها، ولعرش كسرى الذي جلس عليه جندك، وللفرس الذين مزقتهم شر ممزّق، وبموتك سنحي الفتنة من جديد وسنعيد مجدنا التليد الذي قضيت عليه. ستخرج بموتك شياطين الإنس والجنّ من جديد وسنعلن عن معركة استعادة مجدنا. سنجعل من قاتلك إلهاً نصلي له كل يوم ولو بعد حين، فبسبب ما صنعته ببضع سنين سنحتاج زمناً لكي نعيد أمجادنا من جديد.

هذا عبدنا المجوسي يقترب منك وأنت ترفع يديك لتبدأ الصلاة ومع خنجر ذي شعبتين لكي نضمن لك ميتة مؤلمة كما آلمتنا. إنه يطعنك ويطعن معك ثلاثة عشر رجلاً يموت منهم سبعة رجال ثم ينحر شهيدنا المغوار نفسه، ولنجعلنّ قبره مزاراً إلى يوم الدين. ماذا تفعل يا عمر أو أنت مطعون تهتم لأمر إتمام الصلاة

وتقدم عبد الرحمن بن عوف ليؤمّ المصلين؟! أتحمد الله بأن قاتلك ليس من المسلمين؟! وبعد أن تصحو من الغيبوبة والدّم يتفجر منك تسأل هل صلّى الناس؟ حتى وأنت تموت تؤلمنا.. اللعنة، سوف نجعل شياطيننا تلعنك إلى يوم الدين. وهذا الفتى الذي جاء يطمئنّ عليك تعلمه بضرورة تقصير ثوبه. يبدو أن موتك لن يكفي، سوف نلعنك ونسبك وصاحبك أبا بكر إلى يوم الدِّين، لعلّ هذا يشفي غليلنا منك.

ها قد نلنا منك يا عمر وانتقمنا لكل خبيث ووضيع على وجه الأرض، وانتقمنا للفرس والروم وكل شياطين الإنس والجنّ الذين أتعبتهم بسموّك وعدلك وورعك وتقواك. لقد اتعبتنا وأذللتنا بسموّك وعظمتك حتى في موتك. ها قد فتحنا باب الفتنة التي كنت مانعاً لها وكما فعلنا معك سوف نكمل رسالتنا مع من يأتي بعدك لأنهم بالتأكيد سيتعبوننا مثلك ولكنّ الأمر سيكون أسهل هذه المرة لأن باب الفتنة فتح على مصراعيه.

انعم بجنتك كما تشاء، ونحن سننعم بالقذارة والفتنة والقتل والحروب. نحن من الطّين وإلى الطّين، ولكنك حلقت بعيداً، ونحن لا نرضى إلا أن يعيش الناس مثلنا في الوحل والطّين، أمّا أن يكون بيننا أشباه ملائكة، فلن نرضى بهذا أبداً، وكما كنت ضد الفتنة،

سنكون نحن ضد السموّ والرّفعة والعظمة. لن نرضى لأحد من بني البشر أن يتفرّد عنا بهذا الشّكل فإما القتل وإما السّجن وإما التّشريد. كل واحد يخرج عن دائرة القذارة البشرية سوف نجد له طريقة ما للتخلص منه والتاريخ بيننا.)

***

(٢)**عثمان بن عفان** رضي الله عنه :

عندما نتحدث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يخيل إلي أنني أنظر إلى نور ساطع يخطف الأبصار، وكيف لا وهو ذو النورين والإنسان الوحيد الذي تزوج ابنتي نبي. إنه رجل قال فيه رسول الله ﷺ :**(ألاأستحي من رجل تستحي منه الملائكة)**[1]

الله أكبر.. أي عظمة هذه؟! رسول الله ﷺ الذي جمع مكارم الأخلاق ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]يستحي منك والملائكة المنزهون عن الخطأ يستحون منك أيضاً!!

أي صنف نادر من الناس الأطهار الأبرار أنت؟! يقولون أنك لم تسجد لصنم قط، ولم تقترف فاحشة ولم تظلم أحداً. أي سموّ وعلوّ وطهارة وعفّة لديك؟!

أي جود وكرم وسخاء قدّمته للمسلمين، لقد قدّمت لهم من مالك ما لم يقدّمه أحد مثلك. سيّرت الجيوش، واشتريت الآبار، وجمعت لهم القرآن، وفي كل جمعة تعتق عبداً وتحرر رقبة، لو

([1]) رواه مسلم (٢٤٠١)

جلسنا نتحدث عن طهارتك وعفّتك وكرمك وجودك سنوات طوال ما كفيناك حقك، وكتب السيرة مليئة بهذه المواقف العظيمة.

أأنت ملاك خلقه الله على شكل بشر ليسطع نوره على البشر بجوده وكرمه وحياءه وعلمه وورعه وتقواه؟! أي رفعة وعظمة وصلت إليها؟! وتوّجت كل هذا بجمعك للقرآن الكريم والذي يتلى صباحاً مساءً في مصحف أنت جامعه.

أي فضل لك على المسلمين؟! لقد وصلت إلى مراتب من العظمة ما وصل إليها أحد من قبلك إلا الأنبياء والمرسلين والصدّيقين وصاحبيك أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

لهذا لا بد للظلام الذي أراد أن يطفئ هذا النور، وتعود على أن ينغمس في الشهوات والطّين أن يقتل هذا السموّ والرّفعة والعظمة.

لقد نقموا على عدلك وجودك ورحمتك. لقد فتحت بيت مال المسلمين ليأخذوا منه ما يشاؤون، وقبل ذلك كنت اليد الكريمة التي أنقذتهم بعد أن ضاقت الدنيا عليهم.

أهل الظلام : (يا عثمان قد أعمانا نورك، وصرنا لا ندري أين المفر من بحر جودك. أرهقتنا بكرمك وجودك وحياءك. جمعت

القرآن وجهّزت الجيوش وفتحت خزائن بيت المال للمسلمين. لقد تجاوزت الحدود وآن لك أن تتوقف.

لقد أزلنا السد المنيع بين الإسلام والفتنة حينما قتلنا عمر، ومهّدنا الأرض لفتنة لن تهدأ إلى يوم الدِّين، وبقتلك سوف نطفئ نورك ونشعل نار هذه الفتنة لأنك ستكون أول المسلمين الذين يقتلون على يد المسلمين.

سنبعث لك بجنود لنا، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا ممن آمنوا بحقّ، ولكن سنبعث لك يا ذا النورين من أراذل الناس وأوباشهم ممن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، بلْ ملك عليهم حب الدّنيا، ليقطعوا اليد التي خطّت حروف القرآن، ونقطع إرباً إرباً جسدك النوراني.)

حاول الصحابة واحداً تلو الآخر إقناعه بالدفاع عنه ولكنّه رفض أن تراق قطرة دم واحدة بسببه. ويدخلون عليه الدار، وهو صائم والمصحف بين يديه، ويصيبون كفّه فتسقط الدماء فوق المصحف على قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧]وتصيبهم بعد حين هذه الآية حيث ثبت في مصادر عدة أن جميع من دخل عليه الدار جنّوا ([1])

([1]) (الهيثمي في المجمع ١٤٥٥٣) رواه الطبراني واسناده حسن.

أهل الظلام : (يا من تستحي منه الملائكة، أراذل القوم سوف يلطمون زوجتك أمامك، وسيلكزون عجيزتها، وسيقطعونك حتى لا يبقى من نورك ما يزعجنا. لا نرضى بمثل هذه العظمة بيننا، فإما أن تكون مع أراذلنا أو نلحقك بصاحبك عمر.)

أي مجد ورفعة ومناقب تلك التي امتلكتها يا سيدي عثمان؟! حتى وأنت تعرف بأنهم أراذل وأوباش وقادمون لقتلك، إلا أنك تمنع الصحابة من الدفاع عنك كيلا تراق قطرة دم مسلم بسببك.

حتى موتك عظمة، وحتى بعد موتك غلبتهم، ولكنهم بقتلك زرعوا بذور فتنة ما زالت تعصف بالمسلمين حتى الآن. ولكنك تعلم النهاية، فرسول الله ﷺ بشّرك بالجنة، ولم ترد أن تخلع قميصا ألبسك إياه الله لأراذل البشر حتى لا تكون سابقة بين المسلمين.

أي وقاحة ووضاعة تلك التي تجعل أراذل الناس تجتمع على شيخ تجاوز الثمانين من عمره؟! إنها الوضاعة التي تخشى العظمة والرّفعة والسموّ، فتآمر شياطين الإنس والجنّ ليتخلصوا من نورك.

هي الحرب الأزلية بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين النور والظلام. وعندما يصل أشخاص مثلك إلى هذا السمو، يحرك الباطل جنده ويحَيك المؤامرات ويخطط لها لأن الباطل يرفض هذا السمو والرفعة والعظمة.

وبقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدأت سلسلة الفتن بالتتابع على الأمة الإسلامية، وبدأ الانحراف عن عقيدة الإسلام وشريعته إلى يومنا هذا إلا من رحم ربي.

(٣)علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وها نحن الآن أمام قامة أخرى من قامات الإسلام العديدة، أمام عظيم من عظمائها، تربى وهو صغير في بيت النبوة، وأسلم وهو صبي، فما عرف اللهو واللعب والفواحش، بل صار صاحب دعوة وهو في العاشرة من عمره وكأن الله سخره لما هو أعظم من الدنيا. زهرة من زهرات الإسلام، استقى الإسلام من فم النبي ﷺ مباشرة، وسمع القرآن غضاً طرياً من فم الحبيب المصطفى، فكانت حياته كلّها من أولها إلى آخرها من القرآن ومن الإسلام ومن أجل الدِّين، فصار أنموذجاً للعظمة والسموّ، وكيف لا وهو الذي تربى على يد النبي ﷺ.

كان عظيماً بزهده وورعه وخشيته من الله سبحانه وتعالى. إنه حيدرة الأبطال جاهد بنفسه وعلمه وكان يمتلك ذاكرة قوية وعقلاً متفتحاً وذكاءً نادراً وشجاعة فذة وقوة لا مثيل لها، وكيف لا يكون عظيماً من كان رسول الله ﷺ معلّمه منذ الصّغر.

جمع العظمة في كثير من جوانبها ورفعه الإسلام إلى مصافي العظماء، وأسبغ عليه رسول الله ﷺ أوسمة في بعض الأحاديث جعلت كل واحد من المسلمين يتمنى لو كان مكانه. **(علي مني وانا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)**[1]

وكان عنده من عمر بن الخطاب عزمه وحزمه، وشدّته في الله وصلابته، وسرعة بثه في الأمور، وانقضاضه على الباطل وأهله في غير مهادنة أو مداهنة وولي القضاء في عهد الفاروق لعلمه وحكمته وورعه وتقواه.

لقد نام على فراش الرسول ليفديه فعوضه الله بفاطمة لترضيه، وكان الرسول ﷺ يحبه حباً جماً **(من أذى علياً فقد أذاني)** [2]ولم يكن الرسول ﷺ يوكل إليه إلا أصعب المهمّات وأخطرها لعلمه بشجاعته وحكمته وتقواه وعدله.

وكان يعرف مكانته عند الرسول ﷺ فما استكان ولا خارت همّته، بل على العكس، زاده هذا إصراراً وعزماً على

([1]) رواه أحمد (٤/ ١٦٥)، والترمذي (٣٧١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٠١٩).

([2]) رواه أحمد(٢٠٧٨) وإسناده حسن.

التّمسك بكل ما يخدم الإسلام فعن زر قال: قال علي: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق [1]ومع ذلك بقي زاهداً عابداً، للدنيا هاجراً والحكمة تخرج منه كلما نطق، فهو أحكم حكماء الإسلام على مر العصور.

وتتوالى الأوسمة الواحد تلو الآخر فعن مصعب بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلّفني في الصبيان والنسوة؟ قال: **(ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون إلا أنه ليس نبي بعدي)** [2]فالضرغام وبطل الأبطال أراد ساحة الجهاد وهو لها، وعند العلم والقضاء فهو لها، وعند الحكمة والبيان فهو لها، وعند الزهد والورع والتقوى فهو لها، فماذا أبقيت من العظمة لغيرك، وكأني أرى به نموذجاً رائعاً للعظمة التي تجسدت في عمر وعثمان رضي الله عنهما كان يعرف أنّ الجنّة تشتاق إليه، ولذلك كان واحداً من أشجع فرسان المسلمين في ساحات الوغى، عدا صفات علمه وزهده - التي ذكرت سابقا - فأطاح ببدر في أول مبارزة في الإسلام برأس من رؤوس قريش وسادتها، وفي

([1]) (أخرجه مسلم ٧٨ والترمذي ٣٧٣٦).

([2]) رواه البخاري(٤٤١٦)، مسلم(٢٤٠٤).

الخندق بارز فارس قريش (عمرو بن عبد ود) والذي كانت قريش تتباهى بقوته وفروسيته أمام العرب، فبارزه وقتله.

ويأتي اليوم الذي حصل فيه على وسام غبطه المسلمون عليه وتمنّوا لو يفتدوا كل الدنيا مقابل أن يحصلوا عليه ومنهم عمر. عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **(لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)**[١] فتمنى كل مسلم في ذلك اليوم أن يكون صاحب الراية ولكنّ صاحبها كان حيدرة الأبطال علي بن أبي طالب الذي قتل في مبارزة في خيبر أشرس وأقوى فرسان اليهود.

جاءته الخلافة صاغرة وهو لا يريدها، وقد جاءت في وقت مهّد فيها الباطل لكل أنواع الفتن والفرقة، وباتت أرض الإسلام تعيش فترة حالكة من الفتن والانحراف بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولسنا في هذا الكتاب بصدد النقاش في هذه القضية، وهناك كتب كثيرة لأهل

---

(١) رواه البخاري(٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

السنّة والجماعة حول هذا الموضوع ومنها كتاب "علي بن أبي طالب" للصلابي وهناك كتب كثيرة غيره.

جاءته الخلافة مطرّزة بالفتن والبدع والخروج عن منهج النبوة، واختار الله سبحانه وتعالى علياً لهذه المرحلة لأنه لولا حكمته وورعه وتقواه لسالت بحور من الدّماء.

أي نفس عظيمة هذه التي تحمّلها؟! أي همة عالية؟! أي زهد وورع وعلم واستقامة وبطولة وشجاعة وطهر هذا الذي تحمله؟! هل أبقيت من صفات العظمة لمن بعدك؟! رفضت أن تسكن القصور وقلت للدنيا غرّي غيري فكنت مثل عمر رضي الله عنه تهين الدنيا وتعيش زاهداً متعففاً عنها حتى قال فيك عمر: **(أَقْضانا علي بن ابي طالب)** قالها وهو الفاروق.

أهل الظلام: (كفاك يا علي فقد أتعبتنا بعلمك وورعك وزهدك وحكمتك وكرمك وتواضعك. لقد جندلت رؤوس سادتنا في بدر ودككت حصن خيبر وبارزت فرساننا وقتلتهم في بدر والخندق وخيبر، شجاعتك أرعبتنا، زرعنا لك الفتنه فقاتلت الخوارج ورحت تبحث عن الصلح مع معاوية، لم نجد سبيلا إلى فتنة إلا وضعناها أمامك وما زلت صامداً.

لنرسلنّ إليك بنذلٍ وضيع من عندنا، كما أرسلنا لصاحبيك من قبل، فها هو ابن ملجم قد وضع السُّم على سيفه حتى وإن أصابك بخدش قتلك).

ويضربه ابن ملجم في قرنه (كما أخبره الرسول ﷺ بذلك) [1] أثناء استعداده لصلاة الفجر وهو في المسجد، ويأبى المعلم إلا أن يبقى معلماً (مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) حتى وهو محمول والسّيف قد شجّ رأسه، يأمر الناس بإدراك صلاة الفجر قبل فوات الأوان، وبعدها يعطي درساً آخر - وكأنّه يعيد كتابة الأحداث التي حدثت مع صاحبه عمر رضي الله عنه بأسلوبه الخاص - وينظر إلى قاتله ويقول: (أهو أنت...؟ لطالما أحسنت إليك...!!)، وطالب المسلمين بأن يكرموه فإن مات قتلوه ولا يأخذوا بجريرته أحد، وإن عاش كان هو أولى بالقصاص منه لكي يضمن أن لا يكون هناك مجاوزة أو تخط لحدود الشرع. وقد كان عمر رضي الله عنه قد أحسن أيضاً إلى أبي لؤلؤة المجوسي، وكأن التاريخ يعيد نفسه.

([1])عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ :(إنك ستضرب ضربة ههنا، وضربة ههنا، وأشار إلى صدغيه، فيسيل دمها حتى تغضب لحيتك)- رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٩/ ١٤٠)، والسيوطي في (الخصائص الكبرى)(٢/ ١٢٤) واسناده حسن.

العظماء يبقون عظماء حتّى وهم يموتون وبعد مماتهم والباطل يبقى صغيراً قميئاً في حياته وعند موته وبعده.

عصفت بسيدنا علي رضي الله عنه الفتنة من كل جانب، إلا أنه بقي كالطود الشامخ لا يزيغ عن الحقّ قيد أنملة، وسطّر اسمه بأحرف من نور في تاريخ عظماء الأمة الإسلامية ممن قهروا الباطل بعظمتهم، ولم يستطع الباطل النيل منهم إلا بقتلهم غيلة وغدراً، كما حصل مع صاحبيه عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولا يعلم الباطل بأنه بعمله هذا يوصلهم إلى مراتب أعلى من التي كانت تغيظه.

٤) طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه :

كغيره من عظماء الاسلام: كان تقياً ورعاً كريماً، وعابداً زاهداً، وفارساً مغواراً لا يشق له غبار في الدّفاع عن الإسلام، ولكنه تفرّد بعظمة عن غيره من الصحابة، ولا نفضل أحداً على أحد إلا من فضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما هو إلا وحي يوحى، فكلّ واحد منهم استقى من نبع النبوة، ولكنّها اختلافات فردية في الشخصية والعظمة.

تفرّد بعظمة أنه شهيد حي يمشي على الأرض **(من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله)**[1] فما يضّره بعد ذلك وهو يعلم بأنه شهيد. ولذلك انبرى مدافعاً عن الإسلام بكل جوارحه ومطبقاً لكل تعاليمه، كيف لا وهو الشهيد الحي!!

إنه واحد من عمالقة الإسلام، وواحد من أشجع الفرسان، وكان له أثر عظيم في الفتوحات الإسلامية الأولى.

فمن عظمة نفسه الطيّبة أنه لم يتوانى لحظة واحدة عندما سمع بأمر الإسلام من أبي بكر رضي الله عنه، لأنه كان يعرف معادن

([1]) رواه الترمذي والحاكم عن جابر، وصححه الالباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢)

الرجال، فلا يمكن لرجل صادق مثل أبي بكر ومحمد بن عبد الله أن يتفقا على باطل، فأسرع فوراً ودون تردّد إلى إعلان إسلامه [1]،

وعلى الرّغم من حسبه ونسبه وثرائه ومكانته بين قومه إلا أنه أوذي بسبب إسلامه، شأنه شأن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم.

وجاءته بشرى الرّسول ﷺ بأنه شهيد يمشي على وجه الأرض، وهنا خرج الليث من عرينه وراح يبحث عن الشهادة في كل مكان في ساحة الجهاد، ولكنّه من القلّة العظيمة الذين اختار لهم الله سبحانه وتعالى أن يموتوا غدراً لأنه واحد من عظماء الإسلام الذين تفردوا بصفات لم تكن عند غيرهم.

وفي يوم أحد تجلّت العظمة في أسمى معانيها، فانتفض الليث مدافعاً عن رسول الله ﷺ، بعد أن انقلبت الموازين في المعركة وحوصر الرسول ﷺ مع قلة من أصحابه الأفذاذ العظماء.

(1)أصحاب الرسول/ محمود المصري/ بتصرف.

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلمّا رهقوه، قال: **(من يردّهم عنّا وله الجنة؟)** أو: **(هو رفيقي في الجنة؟)**[1] فتقدم الواحد تلو الآخر حتّى استشهدوا ولم يبق مع الرسول ﷺ إلا طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص.

وراح هذا الأسد الضرغام يدافع ويقاتل قتالاً ما له نظير، فجعل من جسده ستاراً بين الرسول ﷺ، ويده ترساً تحمي بها وجه الرسول الكريم، وجسده من ضرباتهم وسهامهم، حتى تناثرت يده أشلاءً وجرح في تلك المعركة تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشلّت إصبعه والتي تليها وعندها قال رسول الله ﷺ **(من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله)**[2]. وعن عائشة ل قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: **ذلك اليوم كلّه لطلحة**[3] وبقي يدافع عن الرسول ﷺ ويقاتل فرسان قريش حتى يئسوا منه ورجعوا.

---

(1) رواه مسلم (١٧٨٩).

(2) رواه الترمذي والحاكم عن جابر، وصححه الالباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢)

(3) فتح الباري (٧/ ٣٦١)

الله أكبر! رجل واحد بإيمانه وإخلاصه يهزم فرسان قريش المتعطشين لقتل الرسول وللثأر من يوم بدر! أي عظمة هذه؟!

ما أعظمك يا أيها الشهيد الحي! أبو بكر ﵁ يختصر واحدة من أهم معارك المسلمين وأقساها عليهم بأن يقول بأن ذلك اليوم كلّه لك، ورسول الله ﷺ يصفك بالشهيد الذي يمشي على وجه الأرض. أي رفعة ومكانة وصلت إليها، بل أي عظمة؟! لقد بلغت منزلة في الجهاد والفروسية والتضحية والصبر في دفاعك عن الرسول ﷺ ما وصلها أحد غيرك. عظيم بشجاعتك وبسالتك وصمودك وتواضعك. أراد رسول الله ﷺ أن ينهض، فلم يستطع، فجلس طلحة تحته حتى استوى.

وبقي الباطل يتربص بهذه القمة الشامخة.. بهذه العظمة.. وكم كانت خيبة الباطل عظيمة عندما لم يستطع فرسان قريش أن ينالوا منه، عندما جعل من جسده ويديه ترساً يحمي بها رسول الله ﷺ، وحتى أن فرسان قريش يئسوا منه، إلا أن الباطل يأبى لعظمة مثل هذه أن تبقى على وجه الأرض.

وقد مهدوا للفتنة، واشتعلت نيرانها، إلا أن العظمة تأبى أن تفارق صاحبها، فعندما استذكر طلحة والزبير أحاديث رسول

الله ﷺ، اعتزلا الحرب وانسحبا في يوم الجمل وقد كانا في جيش معاوية رضي الله عنه.

أهل الظلام: (نحن نشعل الفتنة وأنتما تنسحبان منها! هذا كثير ولن نقبله وكفانا ما لقينا منكما. آن الأوان أن نتخلص من خيرة فرسان المسلمين لننتقم منهم ولعلّ قتلهم يشعل نار الفتنة أكثر).

فتعقب الزبير رجل اسمه (عمرو بن جرموز) وقتله غدراً، كما حصل مع كل العظماء الذين ذكرناهم، وأمّا طلحة فجاءه سهم اختلفت الروايات فيمن أطلقه، فوقع في ركبته ونزف حتى مات شهيداً مغدوراً ككل العظماء الذين سبقوه.

وعندما علم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقتل طلحة - وقد كـان في الجيش المقابل لـه- قال: **(ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة)** [1] لأن العظمة تأبى أن تفارق خيرة صحابة رسول الله ص، لأنهم نهلوا من نبع النبوة العظيم. وراح سيدنا علي يمسح الغبار عن وجهه ولحيته ويترحم عليه. عاش شهيداً، ومات شهيداً مغدوراً لأنه واحد من عظماء الإسلام الذين تفرّدوا عن غيرهم بعظمة لا ينازعهم فيها أحد.

---

(1) رواه الطبراني (٩/ ١٥٣) واسناده حسن.

(٥)**الزبير بن العوام** رضي الله عنه :

أيّة مناقب وأوسمة تلك التي حملتها في حياتك ومماتك؟!

فارس فرسان المسلمين وواحد من أشجعهم، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد المبشرين بالجنة، أحد الستّة من أهل الشورى، أول من سلّ سيفه في الإسلام، أحد البدريين، شمله حديث حراء الذي جمع عظماء الإسلام.

كان فارساً لا يشقّ له غبار والقصص عن فروسيته وشجاعته كثيره سوف نأتي على ذكر بعض منها: ضرب يوم بدر ضربتين في عاتقه وواحده في اليرموك وكان الواحد من الصحابة يدخل إصبعه في كل واحة منهم. [(١)]

لقد وقف الزبير نفسه وماله لله تعالى عز وجل، ومن يفعل ذلك، فلن يلقى من الله إلا ما هو أفضل، ففي يوم بدر كان الزبير يعتمر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير[(٢)]،أبلى الزبير بلاءً منقطع النظير يوم بدر وأحد وأطاح بفرسان قريش.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٠٠)

(٢) رواه الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤) ونسبه إلى الطبراني وقال: هو مرسل صحيح الاسناد

ويضيف الرسول ﷺ إلى الزبير وساماً ما أعطاه لأحد من قبل. قال الزبير رضي الله عنه : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرّتين في أحد وفي قريظة([1])ففي يوم الخندق قال له رسول الله ﷺ (فداك أبي وأمي) ([2])

وكلنا يعلم مدى شجاعة وبأس وقوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلا أنه لم يقل عن نفسه بأنه أشجع الناس، بل قال عن الزبير (**أشجع الناس الزبير... ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال)** وقال فيه أيضاً: **(يغضب كالنّمر، ويثبّ وثوب الأسد)** ([3]) وقال عنه النووي رحمه الله نجدة الصحابة: حمزة وعلي والزبير.

فمن عظمة فروسيّته وبطولاته، أنّه في يوم اليرموك، اخترق صفوف الروم من أولها إلى آخرها مرّتين وما معه أحد، وفي كل مرة كان يجندل فرسانهم، وفي أحد المرّات نالوا منه بضربة على عاتقه.

وبعد أن يئس عمرو بن العاص رضي الله عنه من حصار حصن (بابليون)، كان الزبير جيشاً وحده، فوضع سلّماً واعتلى أسوار

([1])أسد الغابة (٢/ ٢٥٠)

([2]) رواه البخاري (٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٦))

([3])تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٦٢)

الحصن وراح يقاتل ويكبر حتّى سمعه المسلمون وشاركوا في القتال، وتم فتح الحصن، وكان السبب الرئيس في فتحه وفتح مصر شجاعة الزبير بن العوام رضي الله عنه .

واقتربت ساعة الرحيل، وهو يعلم بأنه سيموت شهيداً من بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث حراء. (قال الامام النووي – رحمه الله– وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السّباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل مظلوماً فهو شهيد([1]).

أهل الظلام : (لقد أثقلت علينا يا زبير بشجاعتك وفروسيّتك وبالأوسمة التي أصبغها عليك نبيك. لم نستطع أن ننال منك في ساحة معركة مع أنك كنت تُقبل على الموت فيفرّ منك.

([1]) أصحاب الرسول/ محمود المصري ص٢٣٥.

وتخترق صفوف جيش الروم مرّتين وتقتل منهم الكثير، وتفتح حصن بابليون ويكون الفتح فتحاً لمصر.

ترصّدنا لك كثيراً، وما استطعنا أن ننال منك، لقد بلغت في فروسيتك وشجاعتك مبلغاً لا نحتمله ولا نقبله، ومهدنا الأرض للفتنة فاعتزلتها، لنبعثنّ إليك بأعرابي جلف يقتلك غدراً كما قتلنا كباركم من قبل).

ويترصد له ابن جرموز بعد أن اعتزل الفتنة ويقتله غدراً. ويذهب برأسه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويستأذن فيقول له رضي الله عنه: **تبوأ يا أعرابي مقعدك من النار، حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قاتل الزبير في النار.** [1]

وهكذا تستمر المعركة بين الحق والباطل، فكلما رأى الباطل عظمة وسمواً ورفعة في مجال ما، سعى إلى قتلها وتدميرها، لأنه يأنف من العظمة والسموّ والرفعة، ويريد من الناس أن يغوصوا في الوحل والطين، ولكن العظمة عندما تكتسب في الحياة، تزداد رفعة عند الممات، فالشهادة هي آخر المطاف.

---

(1) رواه مسلم (٢٤١٧).

(٦) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

عندما جاء الوحي للرسول ﷺ، آمنت به قلة من ضعفاء قريش وبعض من كبارها، وجميعهم كان الإيمان يملأ قلوبهم ولا يثنيهم أي شيء عن عقيدتهم. وكان الرسول ﷺ أشرف الناس حسباً ونسباً، وكان قلبه عامراً بالإيمان، ولكنّه كغيره من المسلمين، أوذي في سبيل دعوته، وعلى الرغم من إيمانه إلا أنه كان يتمنى أن يؤمن عمّه حمزة، لكي يشدّ به أزره وهذا من باب الأخذ في الأسباب حتى يكون للدعوة رجال أشداء يدافعون عنها، ومن غير أسد الله وأسد رسوله لها.

كان حمزة قوي البنية، سريع الحركة، رامياً بارعاً، محباً للصيد، فكان يخرج في كل يوم للصيد ويعود عند الغروب، فأكسبه ذلك قوة على قوته، وجعل من مكوثه الطويل في الصحراء فرصة للتأمّل والتفكر والتدبّر، ولكنه لم يكن يعلم بأن الله يهيئه ليكون أسد الله ورسوله وسيد الشهداء يوم القيامة.

وكان يعجب لأمر قريش وعدائها لابن أخيه لما كان يعرفه فيه من صدق وأمانة وحسن خلق. وذات مرة كان عائداً من الصيد كعادته، فسمع أن أبا جهل قد آذى رسول الله ﷺ وسبّه، فأقبل

حمزة متوشحاً قوسه ودخل على أبي جهل في مجلسه وضربه على رأسه بقوسه وشجّه وقال: **(أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فردّ ذلك عَلَيَّ إن استطعت)**، وهكذا عرفت قريش بأن محمداً قد عُزّ وامتنع وأن حمزة سيدافع عنه، فخفّ أذى قريش.

كان إسلامه عزّة ومنعة وقوّة للمسلمين، وبهتت قريش حين دخل المجلس وشجّ رأس سيّد الكفر أبا جهل، وهل تنسى خفافيش الظلام النور الباهت الذي أذاها في عقر دارها وأذلها ومرّغ أنوفها في التراب؟!

وبقي حمزة بن عبد المطلب ملازماً لرسول الله ﷺ ومدافعاً عنه بكل ما أوتي من هيبة وقوة، وجاء يوم الفرقان، يوم بدر، وكانت بطولات حمزة يومها خنجراً لا يندمل في قلوب أهل الباطل، وأعدّوا العدّة بعدها للانتقام ممن مرّغ أنوفهم في التّراب وجندل رؤوس الكفر صرعى.

وفي أوّل مواجهة في بدر، جاء رجل شرس سيء الخلق اسمه الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وعاهد أن يشرب من الحوض أو ليهدمنّه أو ليموتن دونه، فخرج إليه أسد الله فقتله. وبعدها حصلت المبارزة الشهيرة، والتي ربما تكون أهم مبارزة في

التاريخ، بسبب تأثيرها الكبير على سير المعركة، وقتل سادة الكفر الثلاثة على يد حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم . ودارت المعركة ومنيت قريش بهزيمة ما بعدها هزيمة، وحملوا أذيال الخيبة ومعها الحقد والضغينة على المسلمين وعلى حمزة بالذات.

وجاء يوم أحد وكانت قريش تهدف إلى القضاء على شخصين ظناً منهم أنه بقتل أحدهم سوف يطفئوا نور الإسلام ويطفئوا لهيب حقدهم: الرسول صلى الله عليه وسلم وحمزة رضي الله عنه .

والذي يقرأ الروايات والأحاديث التي دارت في قريش وهم يستعدون للمعركة يدرك كيف أن أحد أهم أهداف هذه الحرب هو قتل حمزة، وأوكل أمر قتل حمزة لعبد حبشي اسمه وحشي، كان عبداً لجبير بن مطعم، وقد قتل عمّه على يد حمزة يوم بدر، وكان وحشي ذا مهارة فائقة في الرماية، ووعدوه بالحرية إن قتل حمزة وطلبوا منه أن لا ينشغل بأي أمر آخر مهما كان مصير المعركة.

وقد ذكر وحشي شخصياً على لسانه قصة قتله لحمزة رضي الله عنه في حديث عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: (خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فلما قدمنا حمص قال

لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت([1]) قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا فرد السلام قال: وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاما بمكة فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال: فلما أن خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد – خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور[2] أتحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في

([1])حميت: الشديد في كل شيء، والعنيف.

([2]) مقطعة البظور : أي بمعنى ختانه.

ثنته[1] حتى خرجت من بين وركيه قال: فكان ذاك العهد بـه فلمـا رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثـم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً فقيـل لـي: إنه لا يهيج[2] الرسل، قـال: فخرجـت معهـم حتـى قـدمت علـى رسول الله ﷺ فلما رآني قال: أنت وحشي قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهـل تسـتطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت فلما قبض رسـول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلـت: لأخـرجن إلى مسـيلمة لعلـي أقتلـه فأكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان مـن أمـره مـا كـان، قال: فـإذا رجـل قـائم في ثلمـة[3] جـدار كأنـه جمـل أورق[4] ثـائر الرأس[5]، قال: فرميته حربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت مـن

([1]) ثنته : أسفل بطنه(العانة).

([2]) لا يهيج: لا يثار غضبه.

([3]) ثلمة: شق أو خرق.

([4]) أورق: أي لونه مثل الرّماد، وكان ذلك من غبار الحرب.

([5]) ثائر الرأس: أي شعره منتفش.

بين كتفيه، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته[1])[2]

لقد سبق أن ذكرنا في سياق هذا الكتاب أنه كلما ازدادت العظمة وارتفع شأنها، ازدادت وضاعة القاتل الغادر الذي يرسله الباطل ليطفئ نور العظمة، ولكنّهم لا يعلمون أنه حتى بعد موتهم يزيدونهم عظمة، يرسلون عبداً حبشياً ليقتل أسد الله وعمّ رسول الله ﷺ، صاحب النسب الرفيع يقتله عبد وضيع. أسد يهابه كل الناس يغدر به أحقر الناس (في ذلك الوقت ولكنه أسلم وحسن إسلامه).

أي عظمة هذه لتجعل قريش تجيش هذا الجيش لتثأر لنفسها ويكون أحد أهم أهدافها قتل حمزة بن عبد المطلب؟! نعم، هذا هو الواقع، فقد أذلهم، وقتل سادتهم، وساند محمداً ﷺ فكيف للباطل بأن يرضى ببقاء شخص مثله، ولا يستطيع فارس أن ينال منه؟!

([1]) هامته: أعلى الرأس أو وسطه.

([2]) رواه البخاري(٤٠٧٢).

وتبدأ المعركة، ويقاتل أسد الله بسيفين ويطيح بالكفّار يمنة ويسرة عن رسول الله ﷺ وهو يقول أنا أسد الله، ولولا ترك الرماة لمكانهم لكانت الغلبة للمسلمين بكل سهولة، ويتربص العبد الحبشي لأسد الله، لهذه العظمة التي اتعبتهم ويرميه برمحه ويقتله غدراً.

قال رسول الله ﷺ :(**حمزة سيد الشهداء يوم القيامة)** [1] صحيح أنه مات في ساحة المعركة ولكنه لم يقتل وهو يبارز أو يقاتل، بل قتل غيلة وغدراً مثل كل العظماء الذين ذكرناهم، وقد غسلت الملائكة حمزة لتزيده كرامة ورفعة وتضعه في مكانة رفيعة بأمر الله سيداً للشهداء: قال رسول الله ﷺ : **(رأيت الملائكة تغسّل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب)** [2]

ورحل أسد الله ليكون سيد الشهداء، ولكنّه كان نبراساً وقدوة لملايين الشهداء الذين لحقوا به بإذن الله، ورحل الباطل

([1]) الألباني-صحيح الجامع-٣١٥٨.

([2]) الألباني-صحيح الجامع ٣٤٦٣

وأزلامه إلى الدرك الأسفل من النار وما زال تلاميذهم يسيرون على نفس الخطى: كلما رأيتم عظيماً من الممكن أن يغير في التاريخ الذي خططنا له، ابعثوا إليه بأراذلكم واقتلوه!

***

(٧)**سعد بن معاذ** رضي الله عنه :

ماذا يمكن أن يقال عن شخص مثل سعد بن معاذ رضي الله عنه ؟!

أشرقت المدينة المنورة يوم إسلامه.. الرجل الذي وقف موقفاً عظيماً يوم بدر.. الرجل الذي حكم بحكم الله.. الرجل الذي اهتزَّ عرش الرحمن لموته وشيَّعه سبعون ألفاً من الملائكة.. أي عظمة هذه تجعل عرش الرَّحمن يهتز لموته وتشيعه الملائكة؟! الرجل الذي كان بين الأنصار بمنزلة أبي بكر بين المهاجرين.

كان حامل لواء الأنصار يوم بدر، وعندما استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آراء أصحابه حول الخروج لملاقاة كفّار قريش، أراد أن يستمع إلى رأي الأنصار والذي يتكون منهم غالبية الجيش ويقع عليهم عبء المعركة، فوقف سعد وقال: فقد آمنا بك، فصدقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً،

إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

لو تفحصنا في هذا الموقف، لوجدناه موقفاً عظيماً لرجل عظيم، ولو قال غير ذلك لتبعه الأنصار ولمّا حدثت معركة بدر والتي تعتبر أهم معركة في التاريخ الإسلامي لأنها أسّست ركائز الإسلام ومرّغت وجوه الكفار في التراب. إن هذا الموقف وهذا الكلام هو ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يسمعه، فأثلج بذلك صدر الرسول الكريم ﷺ، وأصدر بعدها أوامره للجيش بالتحرك.

كل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم عظماء، ولكنّ بعضهم تفرد بعظمة فريدة من نوعها جعلت قلوب الكفر والظلام تغلي منهم ومن عظمتهم. فلا نبالغ إذا قلنا بأن موقف سعد بن معاذ أدّى إلى معركة بدر، وكلامه أثلج صدر الرسول ﷺ، وأي جائزة ممكن أن يحصل عليها من أثلج بكلامه صدر الحبيب ﷺ، وكان السبب في معركة بدر، والتي مرّغت أنوف سادة قريش في التراب؟ أيمكن للباطل أن يترك هكذا عظمة على وجه الأرض؟!

وفي غزوة الأحزاب، وعندما بلغت القلوب الحناجر، كان لسعد بن معاذ مواقف تسطر بأحرف من نور، فوقف مواقف رجولية جعلت قلوب الكفار ترتعد منها ومن قوة إيمانه وشجاعته، فرفض أن يصالح غطفان وقال كلمات كثيره منها: (والله لا نعطيهم إلا السّيف، حتى يحكم الله بيننا)

ويتربص به أعداء الإسلام، يتربصون لهذه القمة الشامخة، لهذه العظمة، وبينما هو بجوار عمر بن الخطاب ونفر من المسلمين، وإذ يرميه أحد المشركين ويقال له ابن العرقة بسهم له ويقول له: خذها مني وأنا ابن العرقة، فتصيب أكحله[1] وتقطعه، أي أنه كان المقصود دون غيره بهذا السهم الغادر، لأن عظمته صغّرتهم وجعلتهم وجيوشهم كالهباء المنثور.

وماذا تكون أمنية العظيم سعد بن معاذ رضي الله عنه : (اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فيخرجوا من صياصيهم) تأبى العظمة أن تفارق صاحبها في أي موقف ويأبى الباطل أن يراها كذلك، ويصدر حكمه المشهور في بني قريظة في أن يقتل مقاتلوهم

[1] أكحله: عرق في وسط الذراع يشقه أو يحقن، ويسمى عرق الحياة أو نمر البدن.

وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم. ويأتي أمر الله عز وجل في سورة الاحزاب (٢٦-٢٧) موافقاً لرأي سعد بن معاذ رضي الله عنه

أي عظمة هذه؟! يتمنى على الله أن لا يميته حتى ينهي أمر قريش واليهود، وهو يصارع الموت يحكم في أمر بني قريظة فيوافقه الله جل وعلا فيما حكم. ماذا بقي لك يا سعد من مرتبات عظمة لترتقي إليها؟!

ويدعو سعد بن معاذ ربه بعد أن حكم فيهم بحكم الله: (اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك) فانفجر جرحه وقد كان على وشك أن يبرأ.

ويدخل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول: **(جزاك الله خيراً من سيّد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزنّك الله ما وعدك)**([1])ويموت العظيم ويهتز عرش الرحمن لموته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ)** ([2])

([1]) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢/ ٩)

([2])رواه البخاري(٣٥١٩) ، ومسلم (٤٥١٢).

والأحاديث النبوية وروايات الصحابة عن اهتزاز العرش ونزول الملائكة وحمل نعشه كثيرة مما يدل على أهمية هذا الصحابي وعظمته وعظم الحادثة في ذلك الوقت.

عظيم في قومه، في مواقفه، في شجاعته، وحتى موته لم يكن مثل غيره، فكيف للباطل أن يرضى بمثل هذه العظمة، فتربص له السهم الغادر، وقتل غدراً، ولكنه قبل أن يموت مرّغ أنوف غطفان وبني قريظة فاستحق أن يهتز عرش الرحمن للقائه، بأن تنزل الملائكة وتحمل عرشه وتشيعه رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

الخاتمة

أيها الإنسان...!!!

إنها حرب أزلية بين الحق والباطل، بين النور والظلام، وأنت خليفة الله على الأرض، وحامل الأمانة، وجندي في هذه المعركة التي تدور رحاها في قلبك ونفسك وروحك وجسدك.

أترضى لنفسك بالهزيمة أمام عدو الله وعدوك؟!

أبعد كل هذه السنين والقرون والتجارب والمعارك والحروب بين الحق والباطل ما تزال تتأرجح يمنة ويسرة؟!

أليس هذا أوان الاختيار بين أن تكون في صف الحق جلّ وعلا من أجل شكره على نعمه والفوز بالجنة وأن تشمّر عن ذراعيك وتفتح قلبك لتهزم عدو الله وعدوك؟!

أما تزال مصرّاً على أن تكون من القطيع البشري الذي يسوسه إبليس ويورده موارد التهلكة؟!

إنها حرب لا يمكن فيها الوقوف على الحياد، وعليك الآن أن تختار، إما أن تكون في صف الحق أو الضلال.

ازرع القرآن في صدرك وقلبك واجعل جوارحك تعمل به، واجعل هدفك هزيمة شيطانك من أجل نصرة الإسلام ومن أجل النجاة في الدنيا والآخرة.

أيها الانسان...!!!

لقد جهّز الشيطان العدّة من أجل حربك منذ بدء خلقك برفضه السجود لك وتحديه لله جلّ وعلا. لقد أقسم لله بعزّته وجلاله بأن يغويك ويوردك جهنم، ولكنّه كان يعلم بأنه لا يقدر على عباده المخلَصين. وعلى هذا الأساس قام بعملية فرز للناس:

- القطيع البشري: والذي يتّبع شهواته وملذاته، فكفى الشيطان عناء محاولة إغوائه والوسوسة له واتّخذ منهم أعواناً له.
- بعض الناس الذين يتأرجحون بين الحق والباطل فيخطئون ويستغفرون ويوسوس الشيطان لهم وأمرهم لله جلّ وعلا.
- المؤمنون: الذين عرفوا الطريق وساروا عليه وما استطاع الشيطان إليهم سبيلاً من شدّة تعلقهم بحبل الله.
- الشهداء: وهم الصّفوة والذين اختار الله لهم هذه النهاية تكريماً لهم.
- العظماء: وهم صفوة الصّفوة بعد الأنبياء والصدّيقين. هؤلاء مرّغوا أنف الشيطان واتباعه في الوحل والطّين. لقد ارتقوا بعظمتهم وإيمانهم إلى عنان السّماء. هذه الفئة لم يجد إليها سبيلاً، ولم يستطع أن يتخلص منها إلا بتجنيد أراذل الخلق من جنده وأتباعه، فيرسل لهم من يقتلهم غيلة ليشفي غليله منهم، لأن وجودهم يعذّبه، يؤلمه ولكنّه لم يعد يقدر على رؤيتهم

على وجه الأرض من كثرة ما أذلوه هو وأتباعه، وهو يعلم بأنهم إلى الجنّة سائرون، ولكنّه ينفّذ قدر الله وإرادته دون علمه.

لقد بيّنا لكم بعض جوانب العظمة عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وهؤلاء الصحابة تفرّدوا وتميّزوا عن غيرهم بسمات وميّزات أوصلتهم إلى مرحلة العظمة بأخلاقهم وشجاعتهم وعلمهم وتقواهم وإيمانهم...الخ. جعلتهم عظماء لدرجة أن الشيطان لم يستطع أن ينتظر النهاية الطبيعية لكل واحد منهم، من كثرة غيظه منهم، فأرسل أراذل أتباعه ليقتلوا عظماء الأمّة غيلة وغدراً، ولكنه كان ينفذ مشيئة الله التي ارتضاها لهؤلاء العظماء وذلك لعلمه المسبق بهم وبالشيطان نفسه، وحتى أنه حقق، مع غيظه، نبوءة الرسول ﷺ فيهم في حديثي أحد وحراء، فازدادوا رفعة وعظمة، وازداد الشيطان وأتباعه خسة ونذالة ووضاعة.

لقد اتّبعنا في هذا الكتاب منهجاً مختلفاً عما هو متعارف عليه في دراسة التاريخ والسيرة النبوية العطرة، وذلك بالابتعاد عن أسلوب السرد التقليدي الجاف للتاريخ، وذلك بدراسة الأحداث بأسلوب أدبي يجمع الفلسفة وعلم النفس والعقيدة، وذلك من أجل

التأسيس لمنهج أو مدرسة جديدة تتعامل مع التاريخ ضمن حاضنة العلوم الإنسانية من أدب وفلسفة وعلم اجتماع ونفس وحتى العقيدة الإسلامية ووضعهم ضمن أسلوب أدبي لإعادة دراسة التاريخ وفتح آفاق جديدة فيه وفي شخصيات عظماء أمتنا.

اللهم هذا جهدنا وعملنا، فإن أصبنا فهو من فضلك ومنّتك، وإن أخطأنا فهو من الشيطان ومن أنفسنا. اللهم اجعله في ميزان حسناتنا وحسنات من يقرأه أو ينتفع منه.

والله من وراء القصد

أذار ٢٠١٦

المصادر والمراجع

١. أصحاب الرسول، محمود المصري – ط. مكتبة الصفا.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي - ط. المجمع

٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير - ط. دار المعارف ١٦

٤. التاريخ الإسلامي، د. علي محمد محمد الصلابي – ط. دار الفجر للتراث.

٥. تاريخ الخلفاء الراشدين/ علي بن أبي طالب، د. علي محمد محمد الصلابي –ط. دار الفجر للتراث.

٦. تاريخ الخلفاء الراشدين/ عمر بن الخطاب، د.علي محمد محمد الصلابي – ط. دار الفجر للتراث.

٧. تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي – ط. مؤسسة المختار.

٨. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير - ط. دار طيبة

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري - ط. المكتبة التوفيقية

١٠. الجامع الكبير، محمد بن الضحاك (الترمذي) - ط. دار الغرب الإسلامي

١١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط. مؤسسة الرسالة

١٢. الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي - ط. مكتبة الرشد

١٣. رجال حول الرسول، خالد محمد خالد – ط. دار الفكر.
١٤. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ابـن ماجـه) - ط. دار إحيـاء الكتب العربية
١٥. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي - ط. مؤسسة الرسالة
١٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بـن عثمـان الـذهبي - ط. طبعـة دار الفكر.
١٧. سيرة الصحابة، د. مصطفى مراد – ط. دار الفجر للتراث.
١٨. السيرة النبوية، د. علي محمد محمد الصلابي– ط. دار المعرفة.
١٩. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري - ط. دار ابن كثير
٢٠. صحيح سنن المصطفى، أبـي داوود سـليمان بـن الأشـعث - ط. دار الكتاب العربي
٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج - ط. دار النوادر
٢٢. العلاقة المتبادلة بين العبقرية والجنون، سمـير عبـده – ط. دار الافـاق الجديدة.
٢٣. فـتح البـاري بشـرح صـحيح البخـاري، أحمـد بـن علـي بـن حجـر العسقلاني - ط. السلفية
٢٤. فتنة مقتل عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وموقف الصحابة منهـا، د.علي محمد محمد الصلابي – ط. مؤسسة إقرأ.
٢٥. القرآن الكريم وبالهامش زبدة التفسير من فتح القدير، محمـد سـليمان بن عبد الله الأشقر - ط. أوقاف الكويت

٢٦. اللامنتمي، كولن ولسون – ط. دار الآداب.
٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي - ط. القدسي
٢٨. مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل - ط. مؤسسة الرسالة